من مشرف

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٣١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

كلما لاحت علينا أنوار الولادة العلوية في شهر رجب الأصب تواردت إلى أذهاننا مسألة ولادة النور الساطع والحق الدامغ والرحمة الإلهية المنزلة إلى الخلق في بيت الله الحرام وكعبة المسلمين ودار الأمان والتضرع والابتهال إلى الله وكيف أن علياً عليه السلام قد شُقّ الجدار إلى أمّهِ فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها فكان هذا الشرف وهذه المنزلة لهذهِ المرأة المؤمنة الصادقة الطاهرة.

ولكن قد يرد في الذهن سؤال وهو يراود الإنسان عندما يسمع بهذه الحادثة وهو أن هناك ثقلين من المكانة و الرفعة والشرف والسمو، مكانة بيت الله عز وجل والكعبة المشرفة، ومكانة علي بن أبي طالب عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، زوج البتول، أبو الأئمة الأطهار والأنوار القدسية، وأيهما أرفع شأناً وأكثر شرفاً وأسمى معنى، بيت الله أم ولي الله.

فلأجل الإجابة على هذا السؤال سنتناول عدة جهات من جهات الشرف والأشرفية التي يشترك فيهما هذان الثقلان بيت الله وولي الله ولأجله كتبت هذه الوريقات ومنه الاستعانة إنهُ ولي التوفيق.

الجهة الأولى:

أشرفية الوجود

لا شك من أن الوجود هو من أعظم النعم التي يمنّ الله تعالى بها على كل موجود قبل خلقه، وبالتالي كلما كان ذلك الموجود سابقاً على غيرهِ في مرتبة الوجود يكن أشرف منزلة وأرفع درجة وذلك من خلال أن نفس الوجود له عدة مراتب وانتقالات في هذه العوالم بينما إذا كان هناك موجوداً لم ينتقل بين العوالم بل اقتضى وجوده في عالم واحد وأقل من العوالم التي وجد فيها الموجود الأول فبالضرورة يكون الموجود الأول أشرف منزلة وأعلى مرتبة من الموجود الثاني فإذا تبين هذا فلنستقرئ وجود الكعبة وخلقها ووجود الإمام علي عليه السلام وخلقه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

إن الظاهر من خلال هذه الآية الشريفة أن وجود الكعبة كموضع في الأرض كان موجوداً منذ أن خلقت الأرض ولكن كانت هناك مراحل لتشييد هذا البيت المقدس

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

الذي أراد الله له أن يكون محلاً للعبادة فأمر نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء البيت الشريف ورفع قواعده ومنذ ذلك الوقت بدأ هذا البيت تأريخه العبادي وأول من طاف به هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولم تذكر الآيات والروايات عن أي وجود سبق هذا الوجود في عالم الدنيا لبيت الله الحرام.

وهنا نأتي إلى وجود أمير المؤمنين علي عليه السلام فنجد أن هذا الموجود النوراني وجد في كافة العوالم التي خلقها الله تعالى قبل خلق الأرض فقد وردت عدة روايات تشير إلى هذه المعاني وهذه الخلقة النورانية منها ما روي عن الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله حينما عَيّرْنَ بعضُ نساء قريش الزهراء عليها السلام بتزويجها من أمير المؤمنين عليه السلام وقلن لها: أنهُ رجل فقير لا مالَ له، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة أما ترضين أن الله تبارك وتعالى اطّلع اطّلاعة إلى الأرض فاختار منها رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلكِ، يا فاطمة كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعين من قَبلِ أن يُخلق آدم عليه السلام بأربعة عشر آلاف عام فلما خُلقَ آدم قسم ذلك النور جزئين: جزء أنا وجزءٌ علي»[1]. وللرواية تتمة أخذنا منها موضع الشاهد فقط.

يتبين لنا من خلال هذهِ الرواية أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٠/ ص١٨.

يبين هذه الحقيقة العظيمة التي تنص على أن لوجود أمير المؤمنين عليه السلام عالمان، عالم الأرض واختياره من قبل الله تعالى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعالم الخلقة الأولى أو عالم الذر حينما كان نوراً بأبي وأمي من قَبلِ أن يُخلق أي شيء ومن ثم بعد أربعة عشر ألف سنة خُلق آدم وهذا ما نقصده من أشرفية الوجود والخلق فولي الله أسبق وجوداً من بيت الله وكذلك له الانتقالات ما بين العوالم الربانية من عالم الذر إلى عالم الأرواح إلى عالم الدنيا وهكذا بينما الكعبة المشرفة وهي بيت الله الحرام لم يكن لها وجودات متعددة إنما فقط وجود واحد في هذا العالم وهو عالم الدنيا.

وبالنتيجة:

من كان له هذا السبق وهذا الانتقال ما بين العوالم فهو بالتالي أشرف من الثاني الذي ليس له السبق أو الابتداء.

الجهة الثانية:

أشرفية التطهير

التطهير لغةً هو إذهاب الدَنَس من الشيء، فنجد أن هذه الكلمة قد وردت في حق كل من الإمام أمير المؤمنين والكعبة المشرفة بالتطهير وإذهاب الدنس عنهما قال تعالى:

﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]،

هذه الآية تشهد وبكل وضوح أن البيت قد عُهِدَ تطهيرهُ من الله تعالى إلى نبييه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وكذلك إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام وردت في شأنهِ مسألة التطهير وإذهاب الدنس والرجس قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

وهـذه الآية أيضاً تشـهد بتطهير أهـل البيت عليهم السلام وإذهاب الرجس عنهم ومما لا شك فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أحد أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو الأئمة الأطهار، فهاتين الآيتين الآنفـتي الذكر تثبتان أن الكعبة المشـرفة وأمير المؤمنين عليه السلام قد أذهب عنهم الدنس وطُهرا ولكن في الآيتين نكتة ظاهرة تثبت مسـألة الأشـرفية والقداسة فالآية الأولى التي تثبـت أن التطهير جـار على يد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعهد إلهـي عهده إياهما وقد اسـتجابا إليـه عليهما السلام وطهرا الكعبة المشـرفة من الأوثـان والأرجاس والدماء، وأحشـاء الذبائح التي كان يلقي بها الجهلة في البيت.

أمـا الآيـة الثانية التي تثبـت التطهير لأهـل البيت ولأمير المؤمنـين عليهم السلام فـإن هذا التطهـير لم يأتِ على يـد أحدٍ من النـاس أو من الأنبياء وإنما جاء على يد القدرة الإلهية العليا وهذا هو موضع الأشـرفية لأمير المؤمنـين وأهل البيت عليهم السلام فقد نسـب الله جل وعلا مسـألة التطهير إلى ذاتهِ المقدسة بينما نسب مسألة التطهير للكعبة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأمر منه وعهد إلى نبيه، ولا بد أن نميز بين الفعل المنسوب إلى غـير الله ولكن بإذنه أو بإذنٍ منه وبين الفعل المنسـوب إلى ذات الله مباشـرة، فكل عملٍ يباشـره الباري عز وجل من دونِ وسـائط يكون أكثر شرفية من العمل الذي يأمر بـه الباري ويباشـره غيرهُ من الأسـباب أو الوسـائط وعلى سبيل التوضيح والمثال نضرب هذا المثل وهو آيتان قرآنيتان

تتحدثان عن أهل الجنة والنعم التي ينعمها الله تعالى عليهم وخاصة بمسألة الإسقاء من أشربة الجنة المختلفة فالآية الأولى تقول:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ﴾[1]،

فهذه الآية توضح أن الباري عز وجل جعل إحدى النعم التي يمن بها على أهل الجنة هو أن يُطاف عليهم بكأس من معين فيشربون منها فهذهِ الكأس التي يشربون منها هؤلاء تأتيهم بيد الملائكة لدلالة قولهِ تعالى: ﴿يُطَافُ﴾، بينما الآية الثانية والتي نصها قوله تعالى:

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[2]،

فيظهر من هذه الآية أن هؤلاء الصنف من أهل الجنة قد منَّ الله عليهم بنعمةٍ زائدة على غيرهم من حيث أنهُ نسب فعل السقاية إلى ذاته المقدسة لدلالة قوله تعالى:

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُم﴾

وهذه دلالة واضحة على أن مسألة السقي بيد الملائكة

---

(١) سورة الصافات: الآية ٤٥.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٢١.

منزلة تحمل شرفاً لأهل هذه المنزلة بينما السقي في الآية الثانية كان مباشرة من الله لأهل هذه المنزلة ومن الضروري أن يكون أرفع شأناً وأكثر شرفاً من الطائفة الأولى وهذا مثال يقابله الكثير من الأمثلة القرآنية الدالة على هذه القاعدة التفسيرية من أن الباري عز وجل إذا أراد أن يشرف موجوداً من الموجودات جعل الوسائط والأسباب تزول وترتفع ويباشره بذاته جلّ وعلا أما الذي تتوسط فيه الأسباب بإذن الله فيكون أقل شرفاً يقيناً من أختها.

فنستنتج من خلال تطبيق هذه القاعدة على تطهير الباري عز وجل لأمير المؤمنين عليه السلام وتطهير الكعبة نجد أن:

أمير المؤمنين سلام الله عليه قد طهر مباشرة من دون وسائط أو أسباب لدلالة الآية: ﴿يُرِيدُ اللهُ﴾ و ﴿لِيُذْهِبَ﴾ و﴿يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرَا﴾، فكل هذه الأمور نسبها الله عز وجل إلى نفسه وذاته وهو شرف لا يوازيه شرف بينما الكعبة فقد وقع لها التطهير ولكن بتوسط الوسائط وبإرادة الباري عز وجل فكانت هذه الوسائط هي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومما لا شك فيه أن تطهير أمير المؤمنين عليه السلام أكثر شرفاً من تطهير الكعبة المشرفة.

الجهة الثالثة:

أشرفية دعاء المعصوم

إن من أهم الأمور التي تجعل العبد قريباً من مولاهُ هو الدعاء، فالدعاء هو الأداة التي تكسر جميع الجدران والموانع التي بنتها وشيدتها الذنوب والمعاصي في لحظة واحدة، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]،

فهذه الآية الشريفة تنطق بكل وضوح أن الدعاء يجعل العبد قريباً من ربه كما أن اللّه قريبٌ من عبادهِ على الدوام فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للإنسان العادي فما هو الدعاء بالنسبة للمعصوم، من الطبيعي أن يكون دعاؤه أكثر تأثيراً من الإنسان العادي وذلك لأن الإنسان العادي يغفل عن وجود الباري وقد لا يلحظ وجوده، بينما المعصوم فهو على صلة بربه في كل لحظة وسكنة ونوم ويقظة. فلذلك نجد أن المعصوم لا يرتكب المعاصي بل لا يفكر فيها أصلاً ولكي لا نخرج عن أصل البحث نعود فنقول أن

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

دعـاء المعصوم هو دعاء مسـتجاب لا يـرد ولا يؤجل ولا يقع فيه البداء وذلك لأن دعاء المعصوم مصحوب بعلم وهو العلم اللدنـي الموهوب لـه من بارئهِ عزّ اسمهُ فلا يدعو بشـيء لا مصلحـة فيه أو خالي من الفائدة والثمرة وبعبارة أخرى فإن المعصوم لا يدعو بشيء خالي من الحكمة والفائدة.

فإذا تبينت هذه المقدمة نقول أن نبي الله إبراهيم عليه السلام دعا بدعاء حكاه الله تعالى على لسـانه في سـورة البقرة، قال تعالى:

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَـرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِـدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1].

فهـذه الآيـة تبين أن نـبي الله ابراهيـم عليه السلام بعدما تم بناء الكعبة المشرفة وأصبحت مكة بلداً تسكنه الكثير من القبائل توجه بالدعاء إلى ربه الكريم الذي لا يرد له دعوة أبداً كيف يرد دعوة من كان خليل الله وإماماً للناس.

فكانت دعوة إبراهيم عليه السلام أن اجعل يا إلهي وربي أفئدة من الناس تهوي إلى ذريتي، هذا هو مضمون دعاء إبراهيم عليه السلام

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٧.

وهذه هي النكتة التي نستفيد منها هنا، وهي إن إبراهيم عليه السلام بعد أن أتم بناء الكعبة والإقامة لها فبحسب الغرض والحكم العقلي أنه كان من المفروض أن يدعو من الله أن يجعل قلوب الناس وأفئدتهم تهوي وتنساب انسياباً روحياً إلى بيت الله المحرم والمشرف لكي تكون تشريعاً كاملاً، ولكن جاءت دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام بجعل أفئدة الناس تهوي إلى ذرية إبراهيم عليه السلام، ولكن بالطبع ليس كل ذريته بل بعض ذريتهِ لدلالة «من» التبعيضية أي جزء أو بعض من الذرية تهوي لهم القلوب والأفئدة فما هو السر؟ إنّ المتدبر لهذه الآية بأدنى تأمّل يجد أن الباري يريد من خلقهِ العبادة له وهذه العبادة لها صوراً كثيرة ومن إحدى صورها صورة العبادة بالحج إلى بيت الله الحرام ولكن هذا الحج لا قيمة له أو قل لا فائدة منه إذا كان المنهج والطريق الذي تسير فيه الناس خاطئاً وغير مبني على اساس صحيح وهو طريق العبودية لله تعالى -إذ لا نقصد الطريق المادي المتكون من صحراءٍ ورمال- فقد يكون غير واضح إلى أغلب الناس وبالتالي فلا بد لهم من هادٍ أو هداة يهدون إلى طريق ربهم الأقدس وبالنتيجة فهؤلاء الهداة قد اختصهم الله تعالى في أن يكونوا من ذرية إبراهيم فكان دعاء إبراهيم عليه السلام هو دعاء للناس في حب الهداة من ذريتهِ والهَوِيِّ إليهم، فكانت النتيجة في دعاء إبراهيم عليه السلام هو أن يدعوا بهوي أفئدة الناس إلى ذريته الصالحين الهداة وليس إلى الكعبة

المشـرفة ولقد كان من أسياد هذه الذرية الصالحة وسنام التقـوى والعبوديـة هو علي بن أبي طالـب عليه السلام وكان دعاء إبراهيـم عليه السلام متضمن لأمير المؤمنين عليه السلام من جَعْلِ أفئدةً من الناس تهوي إليه وهذا واضح إلى كل متدبر.

فبالنتيجة:

الـذي نريـد إثباتـهُ في هذه العجالة أن مـن دخل في دعاء المعصوم وهو إبراهيم عليه السلام يكون أشرف يقيناً من غير الداخل في دعـاء المعصـوم وهي الكعبة المشـرفة، فالدعـاء لعلي عليه السلام بجعـل أفئدة من الناس تهوي إليه بصفتهِ هو جزء وامتداد لذرية إبراهيم المطهرة فيه فائدة أكبر من جعل أفئدة الناس تهوي إلى الكعبة المشرفة، وما كثرت وزادت فائدتهُ وعمَّ نفعه على غيره يكون أشرف ضرورة.

الجهة الرابعة

أشرفية الهداية

الهداية في اللغة هو الإيصال إلى الهدف أو المطلوب أو إراءة الطريق.

والله تعالى أراد لهذا الإنسان الهداية والوصول إلى طريقه الصحيح والهدف المراد له وهو الكمال الإنساني، فجعل الله تعالى الهداة في هذا العالم لطفاً منه بعبادهِ فكان هؤلاء الهداة على أنواع وأصناف متعددة والذي يهمنا هنا في هذا المقام مسألة الهداية بالنسبة للكعبة والهداية بالنسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلٌ من الكعبة وأمير المؤمنين عليه السلام كان هادياً ومرشداً إلى الله تعالى، أما بالنسبة للكعبة فقد قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]،

فهذه الآية تشير إلى أنّ الكعبة كانت إحدى مصاديق الهداية للعالمين بجعل من الله تعالى وكانت هدىً للعالمين بالنص الصريح في هذه الآية وكذلك أمير المؤمنين كان

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

لـه هذا المنصب الإلهي في أمـر الهداية للعالمين بنص القرآن الكريم قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[١]،

فمن خلال هذه الآية الشـريفة نجد أيضاً أن الباري اختار مجموعة من البشـر وجعلهـم أئمة وهداة يهـدون بأمر الله تعالى ومن ضمن هؤلاء الهداة كان أمير المؤمنين عليه السلام هادياً لأمة محمد صلوات الله عليهما، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢].

فقـد وردت الكثير من الروايـات المتضافرة في أن المعني مـن المنذر هو رسـول الله صلى الله عليه وآله والهادي هو أمير المؤمنين عليه السلام فقـد أورد صاحب تفسـير الصافي رحمه الله الفيض الكاشـاني ما هذا نصه: «في المجمع لما نزلت هذه الآية قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: أنـا المنـذر وعلي الهادي مـن بعدي يا علـي بك يهتدي المهتدون»، وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال: «رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر ولكل زمانٍ منا هادٍ يهديهم إلى ما جاء بهِ نبي الله ثم

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٧.

الهداة من بعدهِ علي ثم الأوصياء واحد بعد واحد»[١]، فإلى هنا نَخلُص إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام هادٍ والكعبة المشرفة أيضاً هادٍ إلى طريق اللّه والغاية العليا من خلق الإنسان.

وفي الطرف الآخر نجد أن هناك مضلون رفعوا راية الحرب ضد هؤلاء الهداة هدفهم إضلال الناس وإضاعة الطريق وجعل الناس في عتمة الحيرة والجهل والتشتت، ومن أهم أعمال هؤلاء الطغاة المضلون هو طَمس آثار الهداة ومحاربتهم ومحاولة تغييبهم عن أنظار الناس والتأريخ حافل بهذهِ المحاولات البائسة من جنود الشيطان لذلك نجد أن كل هادٍ من الهداة يرافقه في أثناء حياته مضلّ من المضلّين ولكن نجد أن هؤلاء المضلين يعمدون إلى رأس الهداية وسنام النور ويحاولون إطفاءه وإخماده قال تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

فمن هنا نجد أن الطغاة والمضلين عمدوا إلى محاربة أمير المؤمنين عليه السلام أكثر مما حاربوا الكعبة المشرفة مع أنهما هاديان كما أسلفنا وهنا يأتي السؤال، وهو لماذا عمدوا في حربهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من الكعبة المشرفة

(١) تفسير الصافي: ج٣/ص٥٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

بـل قد نجد أن بعضهم كان يكرم الكعبة ويقدسـها مع أنـه طاغ مضلّ يحارب علي بن أبي طالب بكل ما أوتي من قـوةٍ أمثال الخوارج الذين كانـوا في زمان الحرب مع أمير المؤمنـين عليه السلام يقدسـون الكعبة وربما كانـوا يذهبون إلى الحـج أو العمرة وكذلـك معاوية الذي حارب أمير المؤمنين وحـاول إطفـاء نوره وإضـلال الناس عن طريـق الحق حتى وصـل عند أهل الشـام في زمانه من أن علـي بن أبي طالب عليه السلام لا يصلـي ولا يغتسـل الجنابـة إلى غير ذلك مـن البدع والخرافات التي كانت تثار عليه عليه السلام.

فيأتي الجواب أن هداية الكعبة لا يكون لها الأثر الكبير في نفـوس الناس ما لم يكن هنالك هادياً بشـراً يهدي إلى الحق فإذاً لا شك في أن الهداية موجودة في الكعبة ولكنها موقوفة على وجود الهادي الخارجي الدال عليها وعلى طريق الحق جلَّ وعلا.

فنخلَصُ إلى هذهِ النتيجة:

وهـي أن الهدايـة موجـودة عنـد الطرفـين «الكعبة وعلي بـن أبـي طالب»، ولكـن الهدايـة في علي بن أبـي طالب أتم وأكمـل وفي الكعبة أقل ومشـروطة، ومـا كان تاماً في الهداية فهـو أشـرف يقيناً من الهادي الذي هدايته تكون مشـروطة بغيره.

الوجه الخامس:

أشرفية الأمان

إن من أهم النعم التي أعطاها الباري عز وجل هي نعمة الأمان والمقصود منها أن الباري جعل في بعض الموجودات الأمان والطمأنينة وعدم الخوف لكل من كان داخلاً فيها ومتبعاً لها، فالإنسان بطبيعة حالهِ يواجه في هذه الحياة الكثير من المخاوف والتهديدات على نفسه أو مالهِ أو كل ما يهمه من متعلقاتهِ الخاصة به وكذلك الخوف من المستقبل المجهول الذي سوف يواجهه فيعيش في حالة من الإرباك والتردد والحذر ربما، ولأن الله لطيف بعباده ولا يريد لهم هذه الحياة المليئة بالخوف والتردد جعل لهم مواطن يأمنون بها ويستشعرون الأمان ولتكون فيها أنفسهم مطمئنة بتواجدهم في تلك المواطن.

ومن تلك المواطن -بل ربما أشرفها- الكعبة المشرفة بيت الله الذي كل من دخله أحس بنوع من الأمان والاستقرار النفسي وهذا الشعور ينتاب كل من دخل الكعبة الشريفة وهو أمر وجداني، هذا من جهة التكوين وأما من جهة التشريع فنجد أيضاً أن الباري عز وجل قد شرَّع لهذا البيت قانوناً تشريعياً ينص على أن كل من دخله كان آمناً حتى وإن كان صاحب جرمٍ أو كان هناك حقاً متعلقاً برقبتهِ قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[١]،

فهذهِ الآية الشريفة تشير وبشكل واضح إلى أن كل من دخل بيت الله الذي في مكة كان آمناً فلذلك نجد أن هذه السنة كانت موجودة منذ القدم وهي أن كل من استجار بالكعبة كان آمناً بل أن موسم الحج الذي كان يفد الحجيج فيه للكعبة كان أيضاً محرم تبعاً لحرمة بيت الله ومنه أيضاً سمي بيت الله الحرام.

فإذا كانت الكعبة تمثل هذا الأمان الذي جعله الله تعالى لها تكويناً وتشريعاً ولكن الكعبة المشرفة هي ليست المصداق الوحيد لمعنى الأمان الذي جعله الله تعالى لعبادهِ فجعل لهم أماناً أكثر سعة وأعم فائدة وأطول أمداً إلا وهو محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وبالمعنى الأدق، هو أمان الإمامة، فكان أمان الإمامة من أهم وأدق معاني الأمان الذي سنهُ الله تعالى لعباده وما دام الكلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام فهذا المفهوم منطبق عليه أتم أنطباق فنجد أن الإمامة التي شرعها الله تعالى لخلقه عامة وليست خاصة قال تعالى:

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦-٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

فهذه الآية الشريفة لها عدة إشارات والذي يهمنا في كلامنا هو إشارتين:

الإشارة الأولى: هو أن الباري جعل الإمامة للناس وليس للمسلمين فقط أو المؤمنين منهم وإنما جعلها عامة بدلالة قولهِ ﴿لِلنَّاسِ﴾.

والإشارة الثانية: هو أن نبي اللّه إبراهيم طلب هذه الإمامة لذريتهِ فأجابه اللّه تعالى من أن الدعوة مجابة ولكن فقط لمن لم يكن ظالماً منهم وأما الظالم فهو مستبعد عن هذا الشرف وهذه المنزلة الرفيعة.

وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو من ذرية إبراهيم عليه السلام كان من غير الظالمين كما شهد له العدو قبل الصديق والمبغض قبل المحب، فتنطبق عليه هذه الآية انطباقاً تاماً من غير شك أو شبهة.

ومن أهم المسائل التي تتعلق بأمر الإمامة هي مسألة الأمان وهذا الأمان عام وليس خاص كما في الكعبة، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: (إن أهل بيتي فيكم أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء)، وأكد هذا الحديث نفس رسول اللّه صلى الله عليه وآله ألا وهو علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: (أنا وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء)[1]، ونجد أن هذا الحديث قد ورد على لسان أغلب

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ج١/ص٢٥٦/ح١٢.

أئمة أهل البيت سلام الله عليهم موضحين هذا المعنى.

فتحصل لنا بالنتيجة أن هناك نوعان من الأمان جعلهما الله تعالى لعباده وهما الكعبة بيت الله الحرام، وأهل البيت عليهم السلام وهنا يأتي سؤال وهو: هل هناك فرق بين هذين الأمانين أم هما سواء؟

الجواب عن هذا السؤال واضح جداً فالكعبة المشرفة أمانها مقتصر على من دخلها فقط وكان لائذاً بها، بينما أهل البيت ومن ضمنهم أبو الأئمة علي بن أبي طالب عليه السلام أمانهم يشمل كل الموجودات، فقد ورد في أحاديث أهل البيت ما هذا مضمونه من أنهم إذا خلت الأرض من حُجةٍ ساخت الأرض بأهلها، ونورد هذه الرواية الشريفة الواردة عن سيد الكائنات صلى الله عليه وآله في حق أهل البيت عليهم السلام:

(محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن محمد بن الحسين عن أبي سعيد العصفوري عن عمرو بن ثابت عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني وإثني عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض -يعني أوتادها وجبالها- بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظَروا)[1].

والأهم من هذا أن أمان أهل البيت يشمل أمان الدنيا وأمان

---

(١) الكافي للكليني: ج١/ص٥٣٤.

الآخرة، فالتمسك بولايتهم واتباع طريقهم يؤدي بالإنسان إلى الأمان يوم القيامة يوم الفزع الأكبر، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم قال: يقول الله عزّ وجلّ: (ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمِنَ من عذابي)[1] فمن لم يكن له نصيب من حب علي عليه السلام واولاده كان غير مأموناً عليه في ذلك اليوم أما من كان من محبيه وشيعته وناصريه فيكون في بحبوحة وعلى منبر من منابر النور، قال رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً علياً عليه السلام: (وإنك أول من يَردُ عليَّ الحَوض وإنّك أوّل من يُكْسَى معي، وإنّك أوّل داخلٍ للجنةِ معي من أمتي، وإنّ شيعتكَ على منابر من نور مبيضَّة وجوههم حولي أشفع لهم، يكونون غداً في الجنة جيراني...)[2].

والكلام طويل في هذا الموضوع ولا يسعه ونحن في هذه العجالة فنخلص إلى هذه النتيجة:

إن من كان أمانه أوسع وأشمل وكذلك أمانهُ ممتد من الدنيا إلى الآخرة فيكون أشرف مكاناً وأرفع منزلة من الكعبة المشرفة التي أمانها أضيق شمولاً ولا يمتد إلى الدار الآخرة وهذا واضح لكل صاحب قلبٍ سليم.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٣٩/ص٢٤٦.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص١٥٦.

وقال السيد علي النقي اللكهنوي الهندي مادحاً أمير المؤمنين عليه السلام:

خصَّه الرَّحمن بالفضل الصراح ومزايا أشرقت غرّاً وضاحْ
وسما منزله هام الضُّراح فغدا مولده خير مقامْ
طأطأت فيه رؤس الشّهبِ

إنَّهُ أوَّل بيت وُضعا للورى طرّاً فأضحوا خضَّعا
وعلى الحاضر والبادي معا حجَّةٌ أصبح فرضاً ولزامْ
طاعةٌ تتبع أقصى القربِ

وهو القبلة في كلِّ صلاْ وملاذٌ يرتجى فيه النَّجاهْ
وقد استخلصه الله حماهْ فلأن يأتِ إليهْ مستهامْ
في ملمّ داعياً يُستجبِ

تلكمُ فاطمة بنت أسدْ أمَّتْ البيت بكرب وكمدْ
ودعت خالقها الباري الصَّمدْ بحشا فيه من الوجد الضّرامْ
قد علتهُ قبسات اللّهبِ

نادت: اللَّهُم ربَّ العالمينْ قاضي الحاجات للمستصرخينْ
كاشف الكرب مجيب السائلينْ إنّني جئتك من دون الأنامْ
أبتغي عندك كشف الكربِ

بينما كانت تناجي ربَّها وإلى الرَّحمن تشكو كربها

وإذا بالبشر غشَّى قلبها ... من جدار البيت إذ لاح ابتسامْ

عن سنا ثغرٍ له ذي شنبِ

فتق الزّهر؟ أم انشقَّ القمرْ؟ ... أم عمود الصّبح بالليل انفجر؟

أم أضاء البرق فالكون ازدهر؟ ... أم بدا في الأُفق خرقٌ والتئامْ؟

فغدا برهان معراج النبي

أم أشار البيت بالكف ادخلي؟ ... واطمئني بالإله المفضلِ

فهنا يولد ذو العليا (علي) ... من به يحظى حطيمي والمقامْ

وينال الرُّكن أعلا الرُّتبِ

دخلت فاطم فارتدّ الجدار ... مثلما كان ولم يكشف ستارْ

إذ تجلّى النور وانجاب السرارْ ... عن سنا بدرٍ به يجلو الظلامْ

والورى ينجو به من عطبِ

وُلد الطاهر ذاك ابن جَلا ... من سما العرش جلالاً وعُلا

فله الأملاك يعنو ذلّلا ... وبه قد بشَّر الرُّسل العظامْ

قومهم فيما خلا من حُقب

عرف الله ولا أرضٌ ولا ... رفعت سبع طباق ظللا

فلذا خرَّ سجوداً وتلا ... كلّما جاء إلى الرُّسل الكرام

قبله من صحفٍ أو كتبِ[1]

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: ج٦/ ص٣٣.

زبدة المخض

بعد استعراض أهم جهات الأشرفية المشتركة بين أمير المؤمنين عليه السلام والكعبة المشرفة مع العلم أن هناك الكثير من جهات الأشرفية بينهما ولكن عرضنا عنها لضيق الوقت وما يتلائم مع هذا الكراس ونرجو أن يسددنا المولى عزّ وجل بإخراجه على شكل كتاب يستوعب كافة المطالب ويناقش كل جهات الأشرفية بصورة علمية وتفصيل أطول.

فيتبين لنا من خلال الوجوه التي استعرضناها مدى أشرفية وعلو مقام أمير المؤمنين عليه السلام على كل الموجودات التي شرفها الله تعالى -ما خلا رسول الله صلى الله عليه وآله- وهذا لا يعد غلواً أو زيادة بل إنها الحقيقة التي غفل عنها الكثير من الناس وهذه الأشرفية منشؤها رسول الله صلى الله عليه وآله لأن علي عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم قال تعالى:

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

وختاماً نترك للقارئ الكريم اعتماداً على ما تقدم وما أوردنا من آياتٍ شريفة وأحاديث أن يقول: (من شرف من).

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وعلي وآلهما الطيبين الطاهرين

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

ترفع الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
أجمل التهاني والتبريكات
إلى مقام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه
والمراجع العظام و تهنئ العالم الإسلامي كافة
بمناسبة ذكرى ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

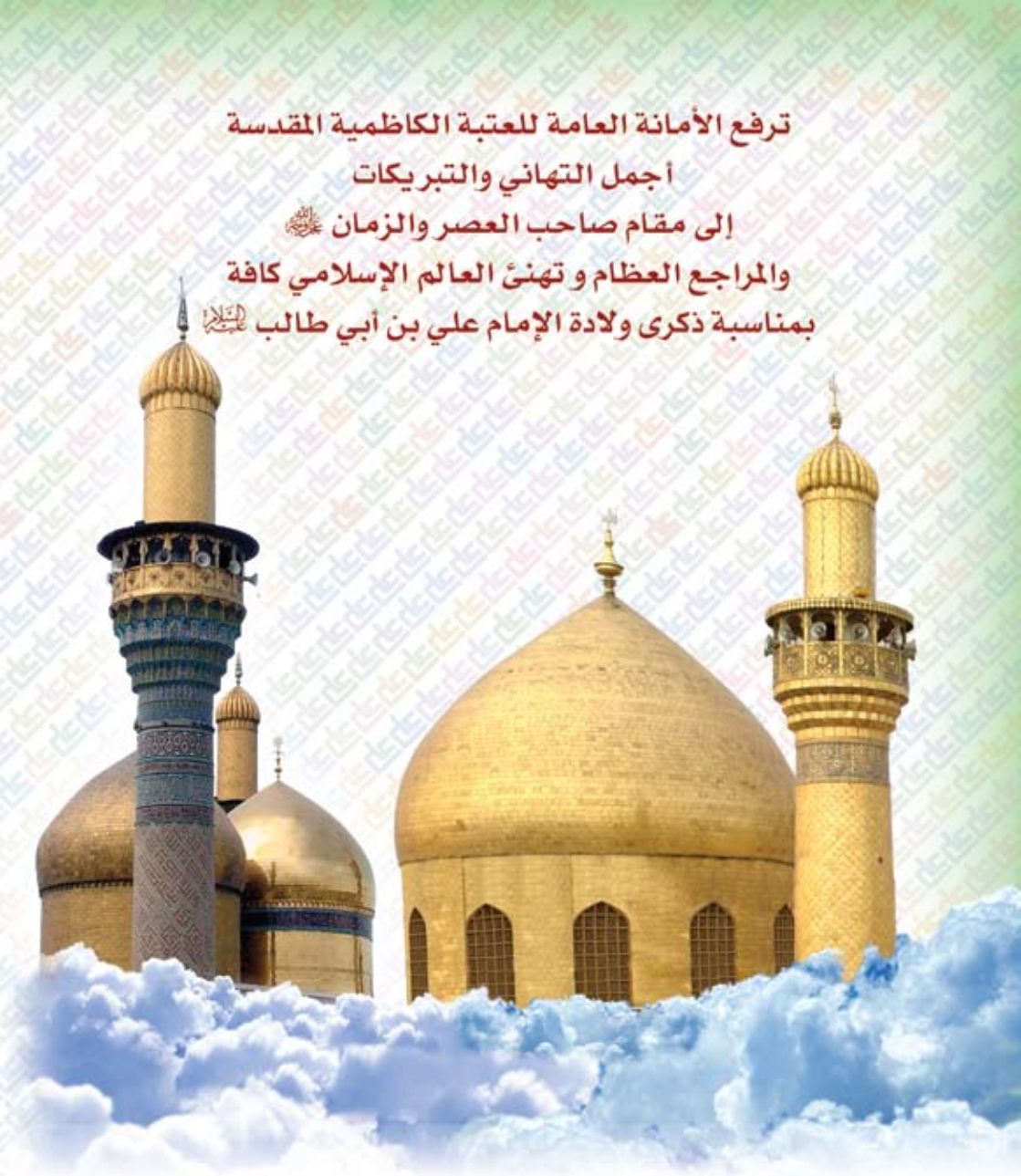

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
راسلونا fikriya@aljawadain.org
زورونا www.aljawadain.org